توظيف الدلالة المعجمية عند الشريف المرتضى

د. أحمد كاظم عماش

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Ahmedammash30@gmail

ملخص البحث:

إنّ الشريف المرتضى من العلماء الذين تركوا أثرا في مسيرة العلم، إذ انمازت مؤلفاته بكثرتها وتنوعها، في اتجاهات مختلفة وقد أبدع في تصنيفها، وهذه المؤلفات فيها من الموضوعات البحثية ما تثري الباحثين الذين ينهلوا من علمه النير ونتاجه الغزير.

ومن الموضوعات التي لم يكتب بها الشريف المرتضى بصورة مستقلة المعجم العربي، غير أنّه كان له اهتمام واضح في المفردات القرآنية، ومفردات الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب نثراً وشعراً، لو حصرت دراساته اللغوية للمفردات، ولو استقصينا الألفاظ التي شرحها في مؤلفاته العديدة لجاء منها معجم يضمّ الآلاف من الألفاظ المشروحة شرحا دقيقا، ومعتنى بها اعتناء كبيرا في البناء والدلالة، وقد رأيت في مؤلفات السيد المرتضى ما يشكل مدونة حقيقية تنفع أهل العلم كما انتفعوا بمؤلفاته الكثيرة، وقد رأيت أن يكون البحث في كتابه (غرر الفوائد ودرر القلائد) المشهور بـ(أمالي المرتضى) ليكون دراسة مصغرة وتمهيداً لدراسة أكبر تشمل إحصاء لجميع المفردات اللغوية التي درسها معجمياً.

فوجدت أنّه قد وظّف الدلالة المعجمية في بيان النصوص التي تردُ في مجلسه، سواء أكانت قرآنا أو حديثا أو كلاما للعرب، وهذا التوظيف جاء من إلمامه بالمعاجم التي سبقته، لكنه لم يسلم لها مطلقا؛ فكان يتحدث من منطلق التأليف المعجمي، يشتق الكلمة ويرجعها إلى أصلها، ويستشهد في بيانها بالنصوص الموثوقة، كالآيات القرآنية أو كلام العرب بأنواعه.

وقد اعتمدت في كتابة البحث على المنهج الوصفي، فكان تركيزي بالدرجة الأساس على الأمالي؛ لأنّها تغني الباحث في اظهار الجهد المبذول من السيد المرتضى، فهو أصل برأسه، يلوذ به الباحثون.

الكلمات مفتاحية: الشريف المرتضى، أمالي المرتضى، التوظيف الدلالي، المعجم

Abstract :

Sharif al-Murtaza, the scientists who have left their impact on the march of science, as Anmazat His Bkthertha and diversity, in different directions has excelled in the classification, and the compositions of the research topics that enrich researchers who tap into his knowledge and his production heavy yoke.

One theme that was not written by Sharif al-Murtaza independently Arab lexicon, and it was his interest clear in the vocabulary of the Qur'an and the Hadith, and the words of Arab prose and poems, but that if confined linguistic studies vocabulary, even if we investigated the terms that are explained in numerous writings to come from a glossary featuring thousands of words annotated explanation accurate, and cared a great care for the construction and significance, I have seen in the works of Mr. Murtada what constitutes a real blog served scholars also benefited many Bmalvath, has been seen to be writing (tricked benefits and pearls necklaces) famous b (AmaliMurtada) study mini

and a prelude to a larger study included a census of all the vocabulary in the vocabulary.
It found that it has hired significance lexical in a statement texts which are contained in the board, whether the Koran or newly or talk to the Arabs, and that employment came from his knowledge of dictionaries that preceded it, but he did not deliver it at all; was talking in terms of authoring lexical, derived word and return it to its origin and she cites in her authoritative texts, Kalaaat Quranic words or Arabs types.
Has been adopted in the writing of research on descriptive approach, my focus was mainly on the basis aura of hopes; because she sings a researcher at the show the effort of Mr. Murtada, he is out of his head, running his researchers.
Keywords : Sharif al-Murtaza, independently, Arab lexicon

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خير الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد :

فإنّ اللغة العربية تمتاز من غيرها بكثرة المفردات، وهذه المفردات أولاها العلماء عناية بالغة لما لها من أثر في تحديد السياق التي تعرض فيه، والسيد المرتضى من العلماء الذين ظهر لهم اهتمام بهذه المفردات وكانت مؤلفاته زاخرة بإيضاح ما غمض منها.

وكان اهتمام السيد المرتضى واضحاً في المفردات القرآنية، ومفردات الحديث النبوي الشريف وكلام العرب نثراً وشعراً، ولكنه لم يخلف لنا معجماً، إلا أنّه لو حصرتْ دراساته اللغوية للمفردات، ولو استقصينا الألفاظ التي شرحها في مؤلفاته العديدة لجاء منها معجم بمئات الصفحات يضمّ الآلاف من الألفاظ المشروحة شرحا دقيقا، ومعتنى بها اعتناء كبيرا في البناء والدلالة، وقد رأيت في مؤلفات السيد المرتضى ما يشكل مدونة حقيقية في الدراسة المعجمية تنفع أهل العلم كما انتفعوا بمؤلفاته الكثيرة .

خلّف لنا السيد المرتضى مجموعة من المؤلفات وفي أغلبها تتوفر مادةٌ صالحةٌ للدرس المعجمي، وقد رأيت أن يكون البحث في كتابه (غرر الفوائد ودرر القلائد) المشهور بـ(أمالي المرتضى) تمهيدا لدراسة أكبر تشمل إحصاءً لجميع المفردات اللغوية في مؤلفاته.

فوجدت أنّه قد وظّف الدلالة المعجمية في بيان النصوص التي تردُ في مجلسه، سواء أكانت قرآنا أو حديثا أو كلاما للعرب، وهذا التوظيف جاء من إلمامه بالمعاجم التي سبقته، لكنّه لم يسلم لها مطلقاً؛ فكان يتحدث من منطلق التأليف المعجمي، يشتق الكلمة ويرجعها إلى أصلها، ويستشهد في بيانها بالنصوص الموثوقة، كالآيات القرآنية أو كلام العرب بأنواعه.

ولا يمكن لنا أنّ نضع هذا الجهد المعجمي تحت طريقة معينة من طرائق الكتب المعجمية كالمخارج، والباب والفصل، والألف بائية، وغيرها؛ لأنّ السيد المرتضى لم يكن مؤلِّفاً في هذا الفن اللغوي، وهدف البحث إظهار هذه القدرة التي يمتلكها هذا العلم الكبير وبيانها للباحثين .

وقد جرى تقسيم البحث على مبحثين:

المبحث الأول :

- الأهمية المعجمية للأمالي .
- مصادر مدونة الشريف المرتضى المعجمية .
- طرق التوظيف الدلالي المعجمي .
- السياق المعجمي .

المبحث الثاني:

- دلالة الألفاظ المعجمية عند السيد المرتضى .
- التوظيف الدلالي المعجمي في القرآن الكريم .
- التوظيف الدلالي المعجمي في الحديث .
- التوظيف الدلالي المعجمي في كلام العرب .

وأنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج، تليها قائمة بالمصادر .

وقد اعتمدت في كتابة البحث على المنهج الوصفي، فكان تركيزي بالدرجة الأساس على الأمالي؛ لأنّها تُغني الباحث في إظهار الجهد المبذول من السيد المرتضى، فهو أصل برأسه، يلوذُ به الباحثون.

وكلُّملي أن أكون قد وفقت في الإسهام بإحياء تراثٍ شاء الله أن يبقى ببقاء أهله؛ لأنّهم تدارسوا علوم القرآن الكريم وحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) .

المبحث الأول:

الأهمية المعجمية للكتاب

كتاب الأمالي هو مجالس مختلفة حوت فنوناً متنوعةً، وفصولاً مختلفةً، ومباحثَ جليلةً، أملاها في أزمان متعاقبة، تنقل فيها من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى آخر، ومن هذه الموضوعات كان للغة وغريبها فسحة لا بأس بها وظّفها لبيان ما يعرض عنده في آية قرآنية كريمة، أو في حديث نبويّ شريف، أو في كلام للعرب من شعر ونثر، ومن هذا وذاك تجمعت المفردات التي تناولها معجمياً فكانت طريقته مختلفة باختلاف الأزمان التي أملاها فيها .

وقد رصد المؤرخون للغة في ذلك العصر ظاهرتين[١]:

١- ضخامة القاموس اللغوي وسعة معاني مفرداته، وذلك لما فيه من مفردات اقتبست من البيئات التي دخلتها العربية فظهرت في ألفاظها عن طريق التعريب، ثم بما جدّ من علوم إسلامية، استلزمت مصطلحات خاصة .

٢- سهولة تناول اللغة من معجماتها، إذ ألفت المعجمات مبوّبة على حروف الهجاء، بعد أن كانت مبوّبة على مخارج الحروف، أو على شكل الرسائل أي ما يجمع المفردات من معنى .

فكان لهاتين الظاهرتين أثر كبير في نتاج الشريف المرتضى، حتى ظهر جلياً في تفسيره للقرآن الكريم بالرأي في أغلب الأحوال، وهذا ناتج من إلمامه البالغ بمعاني المفردات القرآنية، حتى يستطيع أن يختار منها لتفسيره ما يراه ملائماً للرأي الذي ذهب إليه .[٢]

ولم يكن المرتضى فيما ينقله متابعاً فحسب ينقل عن علماء اللغة من دون إبداء رأي، أو اعتراض، وإنما كان يناقش ويعارض، ويرد بعض آراء العلماء كالجاحظ وابن قتيبة والقاسم بن سلام وابن الأنباري .[٣]

فكان يحاكم الآراء التي ترد في تفسير الآيات بقوله: (هذا أسلمها)[٤]، (وهذا أبعدها)[٥] (وقوله خطأ)[٦]، (وكلامه بعيد)[٧]،(ليس الذي ذكره ببعيد)[٨]،(يحتمل)[٩] ،(والصحيح)[١٠]،(غلط)[١١] وهناك الكثير من العبارات التي تبيّن اجتهاده في الأحكام اللغوية .

واهتمامه بأقوال من سبقه جعل منه عارضاً مبدعاً لآرائهم، حريصاً على نسبتها لقائليها، مولعاً بذكر لفظة ما ثم الدوران عليها من جميع جوانبها، ثم يخرج بخلاصة القول فيها، "وأحسب أنّه كان قد فعل ذلك بسبب من رغبته في بسط المسائل وتوضيحها وشرحها تيسيراً على المتعلمين من طلاب اللغة ودارسيها شأنه في ذلك شأن اللغويين والشراح الذين يبغون التفصيل والتوضيح في عرض المسائل، ويكثرون من ذكر الآراء بشأنها زيادة في الفائدة " [١٢].

مصادر مدونة السيد المرتضى المعجمية

استقى السيد المرتضى مدونته المعجمية من مصادر كثيرة قد عيّن قسماً منها بالنص على اسم المصدر، أو اسم صاحبه، في حين أشار إلى القسم الآخر إشارة عابرة.

وتقسم هذه المصادر على أنواع مختلفة:

١-كتب التأليف اللغوي: ومنها المعجمات التي خصّ منها بالذكر العين للخليل (ت:١٧٥ هـ)[١٣]، وجمهرة اللغة لابن دريد(ت:٣٢١ هـ)[١٤]، والصحاح للجوهري(ت: ٣٩٣هـ)[١٥]، ومنها الكتب التي جاءت جامعة لمسائل اللغة والغريب، والنوادر لأبي زيد الأنصاري(ت: ٢١٥هـ)[١٦]، والمجالس والفصيح لثعلب(ت:٢٩١ هـ)[١٧]، والبيان والتبيين للجاحظ(ت:٢٥٥هـ)[١٨]، والكامل للمبرد(ت: ٢٨٥هـ)[١٩]، وتهذيب الألفاظ وإصلاح المنطق لابن السكِّيت (ت:٢٤٤ هـ)[٢٠]

٢-كتب اعراب القرآن وغريبه: ومنها معاني القرآن للفراء (ت:٢٠٧هـ)[٢١]، ومجاز القرآن لأبي عبيدة(ت: ٢١٠هـ)[٢٢]، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت:٢٢٣ هـ)[٢٣]، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة(ت: ٣٧٦هـ)[٢٤] .

وقد ذكر السيد المرتضى جملة من الإحالات عن مصادر لم تصل إلينا، وكانت معظم هذه الإحالات عن علماء مبرّزين في العربية ضاعت كتبهم ولم تصل إلينا، منهم :أبو العباس ثعلب(٢٩١هـ)[٢٥]، وأبو بكر بن الأنباري(ت:٣٢٨هـ)[٢٦]، أبو علي الفارسي(ت:٣٧٧هـ)[٢٧].

طرق التوظيف الدلالي المعجمي :

كان السيد للمرتضى طرائقه في توظيف الدلالة المعجمية للألفاظ، فكان يتناول اللفظ فيشرحه شرحاً مطوّلاً أو قصيرا أ بينهما بأشكال مختلفة وأحجام متنوعة، ونلاحظ أنه في شرح هذه المفردات يعود إلى متطلبات الدلالة المعجمية، وهذه الدلالة تتمثل في حاجة بعض المفردات إلى تعريف يلم بأطراف دلالتها سواء أكانت قرآنيةً أو حديثاً أو كلاماً للعرب. ويعود الاختلاف أيضاً في حجم الدلالة المعجمية إلى حال ذلك المجلس الذي يمليه، هل لديه الوقت للإطالة في الكلام أو لا؟، لذلك نجد أن الدلالة _ مثلا _ في اللفظة القرآنية يطيلها مرة ويختصر أخرى، ومثلها الحديث وكلام العرب .

وموارد الإطالة غالبا ما تكون في موضع الإشكال والرد، والاستدلال على الرأي الذي يعاضده .

أما مفردات الشعر فكانت لها الحصة العظمى؛ لأنّ الأمالي فيها من النصوص الشعرية ما يجعله ظاهرة يشار لها في الكتاب، وبيان هذه الطرائق فيما يلي :

١- الطريقة القصيرة:

هذه الطريقة مختصرة جداً، أما لوضوحها فتكون دلالتها مختصرة، وأما لا تحتاج إلى وقفة تفصيلية، نجد ذلك عند شرحه قول عمرو بن الأحمر:

مُطْلَنْفِئاً لون الحصى لونه يَحْجِرُ عنه الذر ريش زمر

– المطلنفىء: اللاصق بالأرض .

– والذر: النمل .

– والزمر: القليل .[٢٨]

وظّف السيد المرتضى الدلالة القصيرة في كلمة واحدة، وكشفت عن المعنى المراد في البيت الشعري، وهذه الوظيفة الدلالية لا تحتاج إلى الإطالة فالسيد المرتضى قدّر السياق بالدلالة القصيرة .

٢-الطريقة المتوسطة:

يوظّف السيد المرتضى الدلالة المعجمية من دون إشكالات وردود، يشرح المعنى المقصود في النص لإيضاح المبتغى والمراد، مثال ذلك قوله تعالى: {يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} (البلد : ١٥)

قال السيد المرتضى: المقربة: " يتيما ذا قربى، من قرابة النسب والرحم "[٢٩]، ثم أعطى رأيه في اللفظة وقد تفرد به بقوله : " وقد يمكن في {مقربة}أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى، بل هو من القرب، الذي هو من الخاصرة، فكأن المعنى أنّه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر؛ وهذا أعم في المعنى من الأول وأشبه بقوله {ذا متربة}؛ لأنّ كل ذلك مبالغة في وصفه بالضرّ، وليس من المبالغة في الوصف بالضرّ أن يكون قريب النسب ".[٣٠]

نجد أنّ السيد المرتضى اختصر واجتهد، وكان اجتهاده معتمدا على سياق الآية، فهو ينظر إلى اللفظ بعين اللغوي والفقيه والكلامي والشاعر، وهذه الدلالة تظهر توظيف السيد المرتضى للمعجم في تفسير الآيات القرآنية الكريمة .

٣- **الطريقة الطويلة :**

وهذه الطريقة فيها ردود وإشكالات؛ لذلك يطول فيها المقام، منها قوله في كلمة(أجذم) في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((من تعلم القرآن ثم نسيه لقى الله وهو أجذم))[٣١]، وقد خطّأ السيد المرتضى أبا عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، يقول أبو عبيد: الأجذم: مقطوع اليد[٣٢]، أما ابن قتيبة فيقول: إنّ الأجذم هو المجذوم، وإنما جاز أن يسمى المجذوم أجذم لأنّ الجذام يقطع أعضاءه ويشذّبها، والجذم هو القطع [٣٣].

أما السيد المرتضى فقال: "وقد أخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وان كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح لأنه علل غلطه فأخرجه الى أغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورداه"[٣٤] .

فهو خطّأ الرجلين واعتمد في توظيف الدلالة على ما يملك من حسّ لغوية معتمدا على السياق وما يملك من تأويل لكلام العرب في بيان هذا الخبر، وخلاصة قوله :"أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وإنما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يحشر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع إلا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسى القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا له من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجذم، وقال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع:

تضعضع طودا وائلٍ بعد مالك

وأصبح منها معطس العزّ أجذعا

وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب "[٣٥].

السياق المعجمي:

قام السيد المرتضى بشرح الألفاظ باعتماده على طرق تعارف عليها اللغويون وأصحاب المعاجم ولا سيما أنّ أثر الصناعة المعجمية متجلية في جهوده المعجمية الكبيرة، ومن أهم عوامل الشرح التي جاءت في الأمالي الشرح بالسياق، ويقصد بالسياق "كلّ ما يسبق العنصر أو يليه في كلام أو نصّ، سواء أكان صوتاً أم كلمة أم جملة "[٣٦].

ويهدف السياق في المجال المعجمي إلى تحديد معنى الكلمة في ضوء التركيب الذي تقع فيه، بتحليل العناصر اللغوية السابقة واللاحقة.

ويعد السياق المعجمي من أهم الوسائل المساعدة في تعريف المداخل المعجمية سواء على مستوى ضبط الدلالات السياقية، أم على مستوى تحديد التركيب النحوي .[٣٧]

وهذه الميزة التي تمتع بها السيد المرتضى جاءت من نظره للمفردات التي تمثل عنده قيمة دلالية كبيرة، فأعطى لهذه المسألة حقّها من الدراسة والتعليل والتحليل حتى غدا عمله هذا يعكس عبقريته في التعمق في أسرار العربية وسننها .

ونرى ذلك في قول المتنبي:

أبعدْ بعدْتَ بياضاً لا بياضَ له

لأنت أسودُ في عيني من الظُلَم

فقيل فيه: إنّ قوله: "لأنت أسود في عيني" كلام تام، ثم قال:" من الظلم" أي من جملة الظلم؛ كما يقال: حُرّ من أحرار، ولئيم من لئام، أي من جملتهم، قال الشاعر:

وأبيضُ من ماء الحديد كأنّه

شهابٌ بدا والليلُ داجٍ عساكرُهْ

كأنّه قال: وأبيض كائن من ماء الحديد، وقوله: "من ماء الحديد" وصف لأبيض، وليس يتصل به كاتصال "من" بأفضل في قولك: هو أفضل من زيد، ولفظة "من" في بيت المتنبي مرفوعة الموضع، لأنّها وصف لأسود، وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما تقول: زيد خير منك، فمنك في موضع نصب بخير، كأنه قال: قد خارك بخيرك، أي فضلك في الخير، وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي .

فأما قول المتنبي:

أبعد بعدت بياضا لا بياض له

فالمعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد: لا ضياء له ولا نور ولا إشراق، من حيث كان حلوله محزناً مؤذناً بتقضي الأجل؛ وهذا لعمري معنى ظاهر؛ إلّا أنه يمكن فيه معنى آخر، وهو أنّه يريد إنك بياض لا لون بعده، لأن البياض آخر ألوان الشعر، فجعل قوله: "لا بياض له" بمنزلة قوله: لا لون بعده، وإنما سوّغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد، فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لأن يكون بعده لون .[٣٨]

فهو لم يترك لفظاً من دون بيان ما فيه من معاني، فكان يسعى للمعنى الذي يريده صاحبه مما كان مستغلقاً على الأفهام، ليفهم القارئ مقصود النص الذي أوضح ألفاظه وحل مشاكله، فكل نظره كان بتدبر وإمعان .

وقد تنقّل السيد المرتضى بتحليل النص معتمداً السياق من بداية النص إلى نهايته، ومن الكلمة إلى الكلمات، ومن حرف إلى آخر، هدفه بيان الدلالة في النص الذي وقع تحت وظيفة المعنى، وهو يعرض للتأويلات التي سبقته مؤيداً لها أو معارضاً، وفي نهاية المطاف يبتّ بالمسألة منهياً الجدل الذي يختلقه لإيضاح المعنى الذي يراه من السياق، وهذه الطريقة تكاد تكون مبثوثة في جميع أماليه .

وقد يلجأ في بعض المواضع إلى تحكيم العقل في بيان المعنى، نرى ذلك في قوله تعالى:((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) فعني بكلامه عن (الرحمة)؛ لأنّ الإشارة بذلك إلى الاختلاف والرحمة معاً، فيكون على هذا أشير بالمفرد إلى اثنين كقوله: ((عوان بين ذلك))أي: بين الفارض والبكر[٣٩]،فاللفظة في الآية حملُها

على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف بدليل العقل وشهادة اللفظ، فأمّا دليل العقل فمن حيث علمنا أنّه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومخبراً بخلق العباد عليه، وأمّا شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .[٤٠]

المبحث الثاني

دلالة الألفاظ المعجمية عند السيد المرتضى

نهج السيد المرتضى في كتابه منهجاً خاصاً بحسب ما يمليه مجلسه، فكان يبدأ بآيٍ من القرآن الكريم " مما يغمّ تأويله على الخاصة، بله العامة، ويدور حولها السؤال، ويثار الاستشكال، وعالج تأويلها وتوجيهها ... وأعانه فيما فسّر وأوّل ووجّه وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام "[٤١].

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تأويلها، وفسرها بالمنهج الذي عالج به تأويل آيات القرآن ، واختار كلاما للعرب من نثر وشعر أيضا بيّن دلالته بمنهجه الخاص.

وسأذكر الشواهد التي وظّف السيد المرتضى الدلالة المعجمية فيها:

١- التوظيف الدلالي المعجمي في القرآن الكريم :

اتسمت أمالي المرتضى بسمة مميزة، وهي أن أكثر مجالسها تبدأ بتأويل لآيات قرآنية، ودأب السيد في بيان معانيها مستعينا بالمعجم، فمثلا نجده في قوله تعالى:{فلا تجعلوا لله أندادا} (البقرة:٢٢) فإنّ الند هو المِثْل والعِدْل، قال حسان بن ثابت:

أتهجوه ولستَ له بندٍّ فشرّكما لخيركما الفداء [٤٢]

وظّف السيد المرتضى الدلالة المعجمية في بيان تأويل الآية، ثم استشهد ببيت من الشعر ليثبت هذا المعنى، وهذه طريقة المعجميين .

ومثل ذلك قوله تعالى: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ}(هود: ٤٠) ركّز كلامه على كلمة(التنور) ؛ لأنّ مفتاح دلالة الآية بها، وأظهر قدرته في بيان جميع الوجوه المحتملة ثم رجح ما يراه مناسباً ومنها:

١- أنه تعالى أراد بالتنور وجه الارض وأن الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار، هذا قول عكرمة وقال ابن عباس مثله والعرب تسمى وجه الارض تنورا .

٢- أن يكون المراد أن الماء نبع من أعالي الارض وفار من الأماكن المرتفعة منها، وهذا قول قتادة، وروى عنه في قوله تعالى (فار التنور) قال ذُكِر لنا أنه أرفع الارض وأشرفها.

٣- أن يكون المراد بـ(فار التنور) أي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت حرارة دخول النهار وتقضّي الليل، وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

٤–أن يكون المراد بالتنور الذى يختبز فيه على الحقيقة؛ وأنه تنور كان لآدم (عليه السلام) وقال قوم: إن التنور كان في دار نوح (عليه السلام) بعين وردة من أرض الشام، وقال آخرون: بل كان التنور في ناحية الكوفة وقد روى عنه أنّ التنور هو تنّور الخبز الحقيقي، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم.

٥–أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم، وحلّ وقوع نقمته بهم؛ فذكر تعالى التنور مثلا لحضور العذاب، كما تقول العرب: قد حَمِيَ الوطيس؛ إذا اشتد بالقوم الحرب، وعظم الخطب، والوطيس هو التنور، وتقول العرب أيضا: قد فارت قدر القوم إذا اشتد حربهم، قال الشاعر:

تفورُ علينا قدرُهُم فنَديمُها ونَفْثَؤها عنّا إذا حَمْيُها غَلا

أراد بقدرهم حربهم، ومعنى نديمها: نسكّنها، ومن ذلك الحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه نهى عن البول في الماء الدائم؛ يعنى الساكن. ويقال قد دوّم الطائر في الهواء، إذا بسط جناحيه وسكّنهما ولم يخفق بهما، ونفثؤها، معناه نسكّنها؛ يقال: قد فثأت غضبه عني، وفثأت الحارّ بالبارد إذا كسرته به.

٦– أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة؛ فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما أنذر به من إهلاك قومه، وهذا القول يُروي عن الحسن البصري.

وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي؛ لأنّه الحقيقة وما سواه مجاز؛ ولأن الروايات الظاهرة تشهد له، وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلا وتشبيها؛ لأن حمل الكلام على الحقيقة التى تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية.[٤٣]

٢–التوظيف الدلالي المعجمي في الحديث:

وهذا النوع هو الشقّ الثاني من مجالسه، يبدأه بحديث فيه من الغرابة والخلاف ما يجعل أطراف الحديث تطول في تأويله لغويا وسياقياً، مثال ذلك: ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه نهى أن يصلي الرجل وهو زناء .

والزناء : الحاقن الذي ضاق ذرعاً ببوله، يقال: أزنأ الرجل بوله فهو يزنئه إزناءً، وزنأ بوله يزنأ زنأ، قال الأخطل:

فإذا دفعتُ إلى زناء قعرها غبراء مظلمة من الأحفارِ

يعني: ضيق القبر، ويقال: لا تأت فلاناً فإن منزله زناء، فيجوز أن يكون ضيقاً .[٤٤]

نلاحظ أنّ السيد المرتضى قد اتخذ من تأويل الخبر وتقليب معانيه طريقة أهل المعجم في تناول الكلمة، إذ بدأ بذكر معنى الكلمة واشتقاقها، وتصاريف الفعل، واستشهد ببيت من الشعر يعضد رأيه، ويوضح للقارئ دلالة الحديث، فهو يعتمد المعنى المركزي، والكلمة المركزية في النص، ومنها ينطلق لكشف الدلالة السياقية .

وقد وظّف السيد المرتضى الدلالة المعجمية أيضاً في كلمات للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبة له، منها:((من يتبع المشمعة يُشمِّع الله به)) ودلالة (المشمعة) هي: الضحك والمزاح واللعب، يقال: شَمِع الرجل يشمع شُموعا، وامرأة شموع؛ إذا كانت كثيرة المزاح والضحك، قال أبو ذؤيب يصف الحمير:

بقرار قيعان سقاها وابل واه فأثجم برهة لا يقلع

فلبثن حينا يعتلجن بروضة فيجد حينا في العلاج ويشمع

أراد أنّ هذا الحمار الذي وصف حاله مع الأتن، وأنّه معهن في بعض القيعان يعارك هذه الأتن .[٤٥]

ومعنى الخبر هو أنّ من كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يعبث به فيها، ويستهزأ منه، وهذا التوظيف الدلالي في غاية الدقة؛ لأنه يظهر براعة السيد المرتضى في توظيف الدلالة المعجمية في كلام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

٣- التوظيف الدلالي المعجمي في كلام العرب:

أولاً: الشعر:

كان السيد المرتضى مرهف الحس لذا نجده ضمّن مجالسه الكثير من الأبيات الشعرية والقصائد والمقطوعات، وكان ما يمرّ على بيت إلّا ووظّف المعجم في بيان دلالته، منتقيًا الكلمات التي تستحق التوضيح، ولكثرة الشعر في الأمالي كثرت دلالات الألفاظ التي توقف عندها[٤٦]، ولهذا نجد أنّ التوظيف في الشعر يفوق بقية الموضوعات، وتمثل الألفاظ الشعرية المادة العظمى في معجمه اللغوي، مثال ذلك قول الفرزدق يصف الإبل في أبيات منها:

وحتى مشى الحادى البطيء يسوقها

لها بخَصّ دامٍ ودأيٌ مجلّفُ

البخص: لحم الخف الذي تطأ عليه، والدأي: فقار الظهر، المجلف: المنشور.

وحتى بعثناها وما في يدٍ لها

إذا حُلّ عنها رُمّة وهي رسّفُ

الرُّمة: الحبل؛ وأراد أنّها ترسف كما يرسف المقيد، وإن لم يكن في يدها قيد

إذا ما نزلنا قاتلتْ عن ظهورها

حراجيجُ أمثال الأهلّة شُسّفُ

الحراجيج: الطوال من الإبل .

والشسّف: اليابسة من الجهد والكلال .

ومعنى قتالها للغربان أنّها إذا عرّيت ظهورها تقع الغربان عليها لتأكل دبرها، فالإبل تدافع الغربان بأفواهها عن ظهورها وذلك قتالها .[٤٧]

لم يكتف السيد المرتضى بتوظيفه للمعجم فحسب، وإنّما كانت المعنى السياقي حاضراً لتكتمل صورة المعنى، وكان هذه ديدنه في كل مجالسه، ينتقل من الدلالة المركزية إلى السياقية، وهكذا دواليك، ونكتفي بهذا المثال لأنّ الأمالي زاخرة بمصاديقها .

ثانياً: النثر :

لا تخلو الأمالي من كلام العرب النثري في عدة مواضع، إذ عرض السيد المرتضى لبيان دلالتها المعجمية أينما جاءت، فهذا هو يبيّن معاني كلام أحد العرب المعمّرين، وهو(زهير بن جناب بن هبل)، وكان سيد قومه فأوصى بنيه فقال:"فقال يا بني، قد كبرت سنّي وبلغتُ حرسا من دهري فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واحتيال، فاحتفظوا عني ما أقول وعوه، إياكم والخوار عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإنّ ذلك داعية للغم، وشماتة للعدو، وسوء ظن بالرب، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنّه ما سَخِر قومٌ قطُّ إلا ابتلوا، ولكن توقّعوها، فإنّما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة، فمقصّر دونه ومجاوزٌ لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله، ثم لابدّ أنّه مصيبه "[٤٨]

حرسا من دهري: يريد طويلا منه، والحرس من الدهر: الطويل، قال الراجز:

في سنبةٍ عشنا بذاك حَرْسا

السنبة: المدة من الدهر .

والتواكل: أن يكل القوم أمرهم الى غيرهم، من قولهم: رجلٌ وكلٌ، إذا كان لا يكفي نفسه، ويكلُ أمره الى غيره، ويقال: رجلٌ وكلة تكلة .

والغرض: كلّ ما نصبته للرمي .

وتعاوره: تداوله .

نجد أنّ السيد المرتضى ألمّ بوظائف المعجم في هذه الكلمات؛ إذ بيّن ما هو غريب، وفصّل بأسلوب لبيب، يفهمه الخاص والعام .

وكان لأقوال النساء العربيات مكان في مجالسه، فهذا ذو الأصبع العدواني قام بتزويج بناته الأربعة وتركهن حولاً كاملاً ثم أتى الكبرى، فقال لها: " يا بنية كيف ترين زوجك؟ قالت: خير زوج، يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة. قال: فما مالكم؟ قالت: خير مال، الإبل نشرب ألبناها جُزْعا– ويروى: جُرعا بالراء غير المعجمة– ونأكل لحمانها مُزعا وتحملنا وضعيفنا معا؛ فقال: يا بنية زوج كريم ومال عميم .

ثم أتى الثانية، فقال: يا بنية كيف زوجك، قالت: خير زوج يكرم أهله وينسى فضله، قال: وما مالكم؟ قالت: البقر تألف الفناء وتملأ الإناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال: حظيت ورضيت .

ثم أتى الثالثة، فقال: يا بنية كيف زوجك، قالت: لا سمح بذر ولا بخيل حكر، قال: فما مالكم؟ قالت: المعز، قال: وما هي؟ قالت: لوانا نولدها فطما ونسلخها أدما، ويروى: أدما بالفتح لم نبغ بها نعماء، فقال: لها جذوة مغنية، ويروى جدوة.

ثم أتى الصغرى، فقال: كيف زوجك؟ قالت: شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه، قال: فما مالكم؟ قالت: شر مال، قال: وما هو؟ قالت: الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا تسمعن وأمر مغويتهن يتبعن، فقال: أبوها أشبه أمرأ بعض بزه فمضت مثلا .

وكانت أسئلته على حالهنّ، وحال أزواجهنّ، وحال ما يملكون من المال والنعم، بعد ذلك بدأ السيد المرتضى ببيان دلالة أقوالهنّ:

ويكرم الحليلة ويعطي الوسيلة: فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة.

نشرب ألبانها جزعا: فالجزع جمع جزعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء.

مزعا: المزعة البقية من دسم ويقال ما له جرعة ولا مزعة.

ونأكل لحمانها مزعا: القطعة من الشحم .

مال عميم: أي كثير .

تودك السقاء: من الودك الذي هو الدسم .

نولّدها فطما: الفُطُم: جمع فطيم، وهو المقطوع من الرضاع.

نسلخها أدما: فالأدم: جمع إدام، وهو الذي يؤكل.

جذوة مغنية: فالجذوة: القطعة .

جوف لا يشبعن: الجوف: جمع جوفاء، وهي العظيمة الجوف.

والهيم: العطاش .

ولا ينقعن: أي لا يروين .

وأمر مغويتهن يتبعن: لأنّ القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهنّ إتباعا لها والضأن يوصف بالبلادة(٤٩).

فتأويله للجمل والكلمات يظهر تفوقاً عجيباً، ويكشف عن ذهن وقّاد، وذكاء متلهب، تجعله بمصاف أهل المعجمات، فهو استقصى الكلمات الغريبة في هذه النصوص، ثم كشف عن دلالاتها في ضوء السياق .

الخاتمة :

بعد هذه الجولة المعجمية مع علم الهدى الشريف المرتضى، في كتاب من كتبه، اتضح جلياً:

- إنّ السيد المرتضى قد وظّف ما يملك من جهد لغوي في تأويل الآيات الكريمة، والأخبار المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته، وكلام العرب.
- إنّ طريقة السيد المرتضى تواكب أهل صناعة المعجم وكأنّه يكتب معجماً، لكن طريقته كانت تسير مع ما يمليه في مجلسه.
- لم يأخذ ممن سبقه من المعجميين فحسب، وإنّما كان يجتهد في بيان الدلالة، فيناقش، ويردّ، ويرفض، ويؤيّد، وهذا ما جعل علمه يظهر للعيان .
- كان يعتمد السياق اللغوي في بيان كثير من دلالات الألفاظ .
- ظهر في كتاب الأمالي ثلاث طرق من حيث الحجم يتناول فيها المفردة، قصيرة ومتوسطة وطويلة .
- وظّف الدلالة المعجمية في بيان المفردات القرآنية والحديثية والشعرية والنثرية

هوامش البحث

[١]ينظر: ظهر الاسلام، أحمد أمين: ٣٢٧– ٣٣٠، أدب المرتضى من سيرته آثاره، عبد الرزاق محي الدين: ٤٢ .

[٢]ينظر: أمالي السيد المرتضى ومنهجه في التفسير، د.محمد حسن محيي الدين، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، المجلد٧/العدد١: ٢٠٠٢م ، ص:٣٤٠ .

[٣]ينظر: أدب المرتضى: ٤٣ .

[٤]ينظر: الأمالي:١/٤٥ .

[٥]ينظر: الأمالي: ١/٤٠١ ،و٨٤٨ .

[٦]ينظر: الأمالي: ١/٣٤٥، و٣٤٨، ٣٥١، و٤١٩، و٥٥٣، وغيرها تحقيق النعساني .

[٧]ينظر: الأمالي: ١/٩، و١٢، و١٥٨، و٣٢٠، ٣٣٧، وغيرها تحقيق النعساني .

[٨]ينظر: الأمالي:١/١٢، ٣٤٨، و٧٧٢، وغيرها تحقيق النعساني .

[٩]ينظر: الأمالي: ١/٢٤، و٢٨، ٤٨، و٢٠٤، وغيرها تحقيق النعساني .

[١٠]ينظر: الأمالي:١/١٤، و٢٣، و٢٢٨، و٣٢٠، وغيرها تحقيق النعساني .

[١١]الأمالي: ١/٩، ١١، ٢١، ٦٨، ٩١، ٦٣٩ ، وغيرها تحقيق النعساني .

[١٢]ابن بري وجهوده اللغوية، حاكم مالك الزيادي: ٢١٥.

[١٣]ينظر الأمالي : ١/ ١٤٠، ١٩٧، ٤٨١ . تحقيق النعساني .

[١٤]ينظر الأمالي: ١/ ٤٣، ٤٦، ٨٥، ١٤٩، ٢٣٩، ٢٤٠، وغيرها .

[١٥]ينظر الأمالي: ١/ ٢٣٩، ٣١٦، ٣٨٥، ٥٩٧، ٦٧١، وغيرها .تحقيق النعساني .

[١٦]ينظر الأمالي: ١/٢٣٩، ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٩٢، ٦٦٥، وغيرها، تحقيق النعساني .

[١٧]ينظر الأمالي:١/ ١٣٨، ١٥١، ٣٣٦، ٣٦٨، وغيرها .

[١٨]ينظر الأمالي: ١/ ٤٣، ١٤٨، ١٥٤، ١٨٠، ١٨٧، وغيرها .

[١٩]ينظر الأمالي: ١/ ١١٢، ١٦٠، ١٨٠، ٢٠٣، وغيرها .

[٢٠]ينظر الأمالي: ١/ ١٠٨، ١٩٣، ٢٦٠، ٣٦٨، وغيرها تحقيق النعساني .

[٢١]ينظر الأمالي: ١/٧١، ٩٦، ١١١، ١٢٨، ٣٤٥، وغيرها تحقيق النعساني .

[٢٢]ينظر الأمالي: ١/ ٢٦، ٧١، ١٠٩، ١٤٤، ١٥٩، وغيرها تحقيق النعساني .

[٢٣]ينظر الأمالي: ١/ ٧، ٢٣، ٤٢، ٢٧٢، ٤٦٩، وغيرها تحقيق النعساني .

[٢٤]ينظر الأمالي: ١/ ٣٣، ٤٥، ١٣٨، ١٧٠، وغيرها .

[٢٥]ينظر الأمالي: ١/ ١٢٨، ٢١٨، وغيرها ، تحقيق النعساني .

[٢٦]ينظر الأمالي: ١/ ٤٤، ٢٢٩، ٣٤٦، وغيرها تحقيق النعساني .

[٢٧]ينظر الأمالي: ١/ ١١٧، ٢٤٦، ٣١٣، وغيرها تحقيق النعساني .

[٢٨]ينظر: أمالي المرتضى: ١/ ٤٣٣ .

[٢٩]المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٠ .

[٣٠]المصدر نفسه .

[٣١]مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تح: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي: ٢/ ٣٢٤ .

[٣٢]ينظر: غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ) تح: د. محمد عبد المعيد خان: ٢٤٥/٣ .

[٣٣]– ينظر: غريب الحديث، ابن قتيبة (ت:٢٧٦)،تح: د.عبد الله الجبوري: ٥٤٠/٢ .

[٣٤]أمالي المرتضى:١/ ٣٤ .

[٣٥]– أمالي المرتضى: ٣٤/١– ٣٥ .

[٣٦]– معجم المصطلحات اللغوية، منير البعلبكي: ١١٩ .

[٣٧]ينظر: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، حلام الجيلالي : ١٨٧ .

[٣٨]ينظر: أمالي المرتضى: ١/ ١١٣– ١١٤ .

[٣٩]ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٢٢٧/٦ .

[٤٠]ينظر: أمالي المرتضى: ١: ٧٧ .

[٤١] مقدمة أمالي المرتضى: ١٧ .

[٤٢]ينظر: أمالي المرتضى: ١٦٤/٢ .

[٤٣]ينظر: أمالي المرتضى: ٢/ ١٤٨–١٤٩ .

[٤٤]– ينظر: أمالي المرتضى: ٢/ ٢٤٥ .

[٤٥]ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٦٤– ٤٦٥ .

[٤٦]ينظر: أمالي السيد المرتضى ومنهجه في التفسير،ص:٣٤٠ .

[٤٧]– ينظر: أمالي المرتضى: ١/ ٥٤٨ –٥٤٩.

[٤٨]أمالي المرتضى: ٢٤٣/١

[٤٩]ينظر: أمالي المرتضى: ١/ ٢٥٥ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ذوي القربى، الثانية، قم، ١٤٢٨هـ .
- أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، قم – ايران، ١٤٠٣ هـ ق .
- أمالي السيد المرتضى ومنهجه في التفسير، محمد حسن محي الدين، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية، المجلد ٧/ العدد١ : ٢٠٠٢م .
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .
- ابن بري وجهوده اللغوية مع تحقيق كتاب اللباب في الرد على ابن الخشاب، جامعة بغداد، كلية الآداب، دكتوراه، ١٩٨١م .

- تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، حلام الجيلالي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق– سوريا، ١٩٩٩ م .
- الشريف المرتضى وجهوده اللغوية والتحوية، د.سعاد كريدي الكرعاوي، تموز للطباعة، دمشق، ٢٠١٢م .
- ظهر الإسلام، أحمد أمين، كلمات عربية للطباعة والنشر، مصر، ٢٠١٣م .
- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ) تح: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الأولى، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م .
- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) تح: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الأولى، ١٣٩٧ م.
- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تح: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٧م.
- معجم المصطلحات اللغوية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠ م .